جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

جمالية التضاد الحكيم
في شعر أبي فراس الحمداني

إعداد
د/ مها مراد سليمان
الكلية الجامعية بتربة، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
)١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م(

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

جمالية التضاد الحكيم في شعر أبي فراس الحمداني.

مها مراد سليمان

الكلية الجامعية بتربة، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: mahasoliman8@gmail.com

الملخص :

أوسعت قدرة التضاد الفنية والجمالية مكانا رفيعا لها في البلاغة العربية قديمها وحديثها، وبحثنا لا يتعلق بدراسة التضاد فحسب؛ بل التضاد المقترن بالحكمة، فكان النموذج التطبيقي من شعر أبى فراس الحمداني لوضوح ظاهرة التضاد الحكيم في غالب شعره، وقد تم رصدها عبر ديوانه فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من نموذج يمثل هذه الظاهرة، وقد بدأ البحث بالتأسيس للفكرة نظريا من خلال إلقاء الضوء على مكانة مصطلح التضاد وقيمته التي تنبه إليها المحدثون أكثر مما تناولها به القدماء؛ إذ كانت النظرة للتضاد نظرة جزئية لا تفسر دور التضاد في تحقيق شاعرية النص، ولا تدل على إحاطة الشاعر بمفاهيم ترابط المعاني الكونية من خلال التناقض والتضاد المحقق للتكامل والانسجام! وقد تم عرض نماذج التضاد الحكيم لدى أبى فراس الحمداني عبر محاور أربعة وهي: الحب والغزل، الصداقة، الفخر والمدح، تجارب الحياة، وتم خلالها تحليل النماذج الشعرية بما يكشف عن دور التضاد الحكيم في تحقيق شاعرية النص وجودة أدائه الفني،وتم التوصل نهاية البحث إلى النتائج التالية: أن التضاد لم يقف على حدود التحسين البديعي فهو حقيق بمزيد اهتمام، هو فن قديم لا يبلى، بل يتزيا بأزهى مما يُتزيا به في أي عصر يستخدمه! التضاد ليس ظاهرة أسلوبية ولا خصيصة تعبيرية شائعة عند الكثيرين.. لاحتياجها إلى فكر عميق وبعد نظر وخبرة بالحياة قد لا تتأتى إلا للندرة من الشعراء المميزين، امتاز أبو فراس الحمداني بكثافة توظيف هذا الفن المتجدد عبر الأزمان.. بما يكتب لشعره البقاء، فقد استخدم معزز قوي للخلود لا يمله المتلقي على مر الأزمان، تحقق معنى

التضاد لأرقى منزلة وهي الكشف عن الحكمة والقيمة التي تدوم! وبالتالي كان التضاد ثمة جمالية وتقنية شعرية لعبت دورا حيويا وأصيلا في تحقيق جمالية وفنية النص والكشف عن مقدرة الشاعر وعمق بصيرته الحياتية وبعد بصره اللغوي.

الكلمات المفتاحية: التضاد، الحكمة، الجمالية، الشعرية، أبو فراس الحمداني.

The beauty of the wise contradiction in the poetry of Abu Firas Al-Hamdani.

Maha Morad Suleiman
Tarbah University College, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: mahasoliman8@gmail.com

Abstract:
The artistic and aesthetic ability of antithesis has gained a prominent place in Arabic rhetoric, ancient and modern, and our research is not only related to the study of antithesis; Rather, it is the opposition associated with wisdom. The applied model was from the poetry of Abu Firas Al-Hamdani due to the clarity of the phenomenon of wise opposition in most of his poetry. It was monitored throughout his collections, as hardly a page of his pages is devoid of a model representing this phenomenon. The research began by establishing the idea theoretically by shedding light on its status. The term antithesis and its value, which the moderns paid more attention to than the ancients. The view of opposition was a partial view that does not explain the role of opposition in achieving the poetry of the text, nor does it indicate that the poet was aware of the concepts of the interconnectedness of universal meanings through contradiction and opposition that achieve integration and harmony! Examples of wise contradiction according to Abu Firas Al-Hamdani were presented through four axes: Love and flirting,the friendship, Pride and praise, life experiences, During which poetic models were analyzed to reveal the role of wise opposition in achieving the poetry of the text and the quality of its artistic performance, At the end of the research, the following results were reached: The contrast did not stop at the borders of creative improvement, it is real with more attention, it is an ancient art that does not wear out, but rather is decorated with more splendor than it is decorated in any

era that uses it! Contradiction is neither a stylistic phenomenon nor an expressive characteristic common to many... because it requires deep thought, foresight, and life experience that may only come to a rare few distinguished poets, Abu Firas Al-Hamdani was distinguished by the intensity of his use of this renewed art over time...in a way that allowed his poetry to endure. He used a powerful reinforcement of immortality that the recipient would never tire of over time, The meaning of opposition has been achieved to its highest status, which is the revelation of wisdom and value that endures! Thus, the contrast was an aesthetic and poetic technique that played a vital and original role in achieving the aesthetics and artistry of the text and revealing the poet's ability, the depth of his life insight, and his linguistic foresight.

Keywords: Opposition, Wisdom, Aesthetics, Poetry, Abu Firas Al-Hamdani.

مقدمة :

قيمة التضاد بين النقد القديم والنقد الحديث :

تأكدت قيمة التضاد للدارس الحديث الذي تعمق وظيفية هذا اللون البلاغي التي ليست مقتصرة على وصفها بأنها : تحسين بديعي بل تجاوز هذا المستوى كثيرا ، وقد سبقنا في التنبه لهذا : (بكري شيخ أمين) – في كتابه الدال العنوان : (البلاغة العربية في ثوبها الجديد _ علم البديع) – حين أورد سؤاله الهادف : هل الطباق تحسين معنوي ؟

وأجاب مفصلا القول في أبعاد قيمة التضاد بقوله : " درج علماء البلاغة انطلاقا من عهد السكاكي إلى يومنا هذا على جعل (الطباق والمقابلة) في جملة علم البديع وعدوه أحد المحسنات المعنوية في الكلام . بعبارة ثانية نظر هؤلاء المؤلفون إلى الطباق على أنه حلية معنوية في الكلام تزيده جمالا إن وجدت ولا يضر به إن غابت . فالطباق – في رأيهم نافلة من القول يمكن الاستغناء عنها في أية لحظة ...

ويلوح لنا بعد تأمل طويل لهذا اللون أن العلماء – أكرمهم الله ورحمهم – قد تجنوا على الطباق وهضموه حقه ونظروا إليه نظرة استهانة كان جديرا بخير منها ، وبتقدير أكبر وأجل ويبدو أنهم حكموا عليه بما حكموا من خلال النظرة الجزئية التي نظروا إليه بها ... لا يذكر الحكمة من كون ذلك طباقا ..... وما الجمال الفني الذي حمله هذا اللون (البديعي) ، بل هل كان في الإمكان الاستغناء عن إيراد هذا التحسين اللفظي أو المعنوي؟

هذه النظرة الجزئية للكلمة مقطوعة عن سياقها العام مفصولة عن ارتباطاتها النفسية والاجتماعية والأدبية وغيرها هي التي دفعت كثيرا من الباحثين

إلى اتهامهم علم البديع أولا ثم العلوم البلاغية الأخرى ثانيا بالقصور عن إدراك الجمال الفني في التعبير الأدبي الرفيع " [١]

هكذا يسبق تأمل بكري شيخ أمين للتضاد إلى وعي [قيمة التضاد] حتى أنه ليقول معلقا على تحليل للمقابلة أيضا : " هذه المقابلات لم تكن زينة بديعية حسنت المعاني وإنما هي جزء أصيل من تفكير الشاعر وتعبيره ، ولولاها ما كان بالقادر على البوح بما يحرقه أو يكويه ..." [٢])

بل إنه سلك التضاد في سلك (النظرية الجدلية) ! التي تطورت على يد (هيجل) معلقا بقوله : " إن الذي يعنينا في هذا الموضوع هو كون الطباق أساسا من أسس التفكير والتعبير الإنساني وليس زخرفا من القول أو زينة يمكن الاستغناء عنها " [٣]

ويؤكد قيمة التضاد إذ يقول : " الحياة بكل عناصرها هي جزء من هذا اللون أو هذا اللون جزء من الحياة ذاتها ، وهل نستطيع أن نفهم الوجود بكل ما فيه لولا هذه المتقابلات ؟ الغنى والفقر ، الحياة والموت ، الدنيا والآخرة ، الثواب والعقاب ، الخير والشر ، الجنة والنار ، السماء والأرض ، الإنس والجن ، الذكر والأنثى ، الصحة والمرض ، العلم والجهل ، الشرق والغرب ، الأم والأب ، الأخ والأخت ، الصديق والعدو ، الحاكم والمحكوم ، الجمال والقبح ، الوجود والعدم ، الخالق والمخلوق ، السيد والمسود ، الإيمان والكفر ، الأنا والأنت ، الحاضر والغائب ، الأعمى والبصير، الظلمة والنور ، الحي والميت ، الحسنة والسيئة ، الجود والبخل ، الشجاعة والجبن ، الرضى والغضب ، الفرح والترح، التقى والفجور ، الصدق والكذب وسواها من عناصر الوجود التي تجري على هذا

١ أمين ، بكري شيخ . البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع) ص ٥٣

٢ نفسه ص ٥٧

٣ السابق ص٥٩

السبيل المتقابل والمتباين وأن كل أمر في الوجود له ما يوافقه أو يخالفه أو له آفة من جنسه ، ألم يقل الشاعر القديم :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

فلم يكتف بمكانة للتضاد تقف عند حد المحسنات ، بل تجاوز به إلى وضعه ضمن أحد أركان الشعر إذ يقول معقبا :

" أخيرا فإن الذي نراه أن يكون الطباق جزءا من الصورة الفنية أو من حديث (النظم) كما قال الجرجاني والرازي وأكرم بذلك من مقام " [١]

وعن اختلاف قيمة تناول هذا المبحث (بين النقد القديم والنقد الحديث) نورد ما لاحظه (د. علي قاسم الخرابشة) من قوله : " تركيز النقاد والبلاغيين القدماء على الجانب الشكلي للتضاد كان وراء إغفال كثير منهم مظاهر التضاد المعنوي ، بينما تعامل النقاد المحدثون مع التضاد بوصفه ظاهرة كونية تحكم الوجود ... التضاد في العمل الأدبي ليس وعاء سطحيا أو شكلا لمضمون ما بل هو تشكيل ناجم عن مختلف الوظائف النفسية والمعنوية "[٢]

ففي النقد الحديث تبدو المسألة مختلفة تماما عما كانت عليه في النقد القديم وذلك بتحليله من خلال الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية التي تشكل بنيته ، ومحاولة الكشف عن الدلالة العميقة التي وراء هذه البنية فضلا عن أنه سعى إلى تناوله على المستوى النصي بكامله كاشفا عن صفة التلاحم والانسجام بين أجزاء النص الخارجية وفعله الذاتي ولم يهمل الوقوف عند وظيفته الجمالية التأثيرية في المتلقي وشعرية التضاد في تشكيل الصورة " [٣]

---

١ نفسه ص ٦٣

٢ – الخرابشة ، د. علي قاسم – شعرية التضاد في النقد العربي التأصيل والإجراء – ص ٣٨٤ – الآداب للدراسات اللغوية والأدبية – العدد١٥– سبتمبر ٢٠٢٢

٣ – نفسه ص ٣٦٣

وفي قيمة هذا المبحث نجد (رينيه ويليك) يقول بأن " النصوص الشعرية المتميزة هي في حقيقتها بنى من المتناقضات " [١]

ومما ورد في قيمة التضاد قول (عبد القاهر الجرجاني) في كون الشيء من الأفعال سببا لضده :" يدل ذلك بما يكون فيه من الوفاق الحسن مع الخلاف البين على حذق شاعره وعلى جودة طبعه وحدة خاطره وعلو مصعده وبعد غوصه إذا لم يفسده بسوء العبارة ولم يخطئه التوفيق في تلخيص الدلالة وكشف تمام الكشف عن سُرر المعنى وسِرِّه بحسن البيان وسحره " [٢]

إذ التضاد سنة حياة ، بمجرد ذكر كلمة يخطر بالبال ضدها ، إذ " التضاد في النهاية يقود إلى حالة من التوازن سواء بين عناصر اللغة جميعا أو بين عناصر الكون بأسره .. بما أن التضاد كامن في طبيعة الأشياء أمكن النظر إلى كل شيء من زاويتين متناقضتين يبقى جوهرها واحد على الرغم من تنافرهما الظاهري ..فالكون بساط الأضداد .[٣]

مع هذه القيمة الكبيرة للتضاد – التي تتجاوز قيمته البلاغية حدود الزينة اللفظية إلى بيان قيمته الوظيفية – نقرن – في هذا البحث – بين درسنا التضاد ودراسة باب قيِّم كذلك وهو باب : (الحكمة) !

إذ لا خلاف على أنه تُحكم قيمة الشاعر بما يتقن من شعره ذي الصدى في كل جيل ، وبما يبقى منها في لغته أو يقبل الترجمة إلى لغات أخرى ، وهو ما يتأتى من جهة الحكمة .

---

١ – ويليك، رينيه، مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، ع ١١،الكويت، ١٩٨٧ ص ٤٧٥

٢– الجرجاني ، عبد القاهر . أسرار البلاغة ص ١٥٥

٣– عامر ، عاصم (محمد أمين) حسن . لغة التضاد في شعر أمل دنقل – ص ٤٦– جامعة اليرموك – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها – ٢٠٠٠

وعن أهمية الحكمة يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : كفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل " [١]

والحكمة لدى (اليوسي) : إصابة القول من غير نبوءة ، وقال مجاهد : الحكمة الإصابة في القول والفعل .. ويقال أنزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد : قلوب اليونان ، وألسنة العرب ، وأيدي أهل الصين ، وما ذلك إلا لاختصاص اليونان بمزية التبحر في علم الأشياء .. وأهل الصين .. بالصنائع العجيبة .. والعرب بإبانة المعاني العجيبة . [٢]

وفي المعجم الوسيط : الحكم العلة والكلام يقل لفظه ويقل معناه ، وفي الاصطلاح : كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو ، وقيل الحكمة : معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر .

ونستطيع القول إن الحكمة في الشعر تلخيص الفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالته على المعنى أو تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة درج العرب على تسميتها جوامع الكلم . [٣]

وإذا ما قيست قيمة الشعراء على مر الأزمان سنجد هذا المعيار الضمني (ما يبقى) هو ما يحكم مكانة الشاعر ويبقى ما يعد : (قانون حياة) ، وبالتالي

---

١ – الماوردي . الأمثال والحكم – تحقيق / د. فؤاد عبد المنعم أحمد – ص ٢٠ – دار الوطن للنشر – الطبعة الأولى ١٤٢٠– ١٩٩٩– الرياض – السعودية

٢ – اليوسي ، الحسن . زهر الأكم في الأمثال والحكم – حققه / د. محمد حجي & د. محمد الأخضر – ص ٢٥: ٢٨ – الشركة الجديدة – دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى ١٤٠١–١٩٨١

٣ – مجاهد ، مسعود أحمد بالاشتراك مع حافظ سيد مبشر حسين الكاظمي – الحكمة في شعر طرفة بن العبد – مجلة قسم العربي – جامعة بنجاب – لاهور – باكستان – العدد الخامس والعشرون ٢٠١٨

تتوحد قوانين (الحياة والشعر) : (فيما يفيد) في المعاني الباقية حسب قوانين الحياة والخلود!

وهذا القانون هو ما سماه القرآن الكريم :(الزبد) أو قانون : (ما ينفع الناس) .

ويدخل في الزبد من الشعر الكثير من مثل أشعار الحوادث العارضة وتفاصيل المعارك والتي امتلأت بها صفحات الدواوين التراثية مما عفا عليه الزمن ، وبقى : ما يستفاد من حكمة في كل (باب) ، فلن يخلو باب من (حكمة تستفاد) أو معرفة تبقى كـ (قانون) وهي (الحكمة) التي لا تتأتى إلا بالصبر بل هي ثمرته ، وهو الذي يرفع المكانة الأدبية فيصدق عليها قول الحق :

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ **(الصافات ٣٥)**

ومن الحظ العظيم الحكمة التي يترتب عليها: الخلود الشعري ، وأهم مرآة أو عدسة (أو وسيلة) للكشف عن (أو الوقوع على) الحكمة هي [عدسة : (التضاد)] !

الحكمة أيقونة بقاء شعرية لا يتنازل عنها (قانون الخلود الشعري) وهي لا تتأتى إلا بخبرة الحياة والفكر العميق في جذور وأصول الوجود ترتبط بالقيمة للأبقى وبكشف الزيف وفرز الجيد مما يلتبس به أو التفريق بين المتشابهات المختلفة أو المتضادات في العمق !

ومن هنا تأتي صلة (الحكمة) الكاشفة عن قوانين الحياة – في أغلب تجلياتها – بـ (التضاد) الذي هو أحد أهم قوانين الحياة الأساسية !

وصلة التضاد بالحكمة تتأتى من اشتراكهما في (الكشف عن الحقائق) ؛ فالتضاد كشف للتناقض الحقيقي والحكمة كشف للحقيقة التي قد لا تخلو من (التضاد) !!

حيث الحكمة احتكام للعقل وانسجام بالفكر وتقديم المعنى في قالب مقنع لا يحتاج لاحتجاج عليه ولا يتطلب المناقشة أو المخالفة من منطقه الخاص .

وإذا ما كانت هذه مكانة التضاد ، فكيف وهو قرين الحكمة !! وكيف بهما إذا اجتمعا إلى أبى فراس الحمداني !

تعريف بالشاعر أبى فراس الحمداني :

هو الحارث بن حمدان التغلبي الربعي ، تمتد حياته بين عامي ٣٢٠-٣٥٧هـ ، وهو أمير شاعر فارس ، وهو ابن عم سيف الدولة كان يسكن منبج بين حلب والفرات ويتنقل في بلاد الشام . أسرته الروم سنة ٣٥١هـ ومات قتيلا قتله أحد أتباع أبى المعالي بن سيف الدولة وكان أبو فراس خال أبى المعالي وبينهما تنافس ..

وأبو فراس الحمداني [شاعر فارس] جمع خبرة الحياة من السلم (الشعر / الحب) إلى (الفروسية / الحرب) ! جرب صعوباتها وبطولاتها ، جرب العداوة من الأقرباء قبل الغرباء ! فانكشفت له معادن الناس ومعاني الحياة الحقيقية ، وهذا غالب في ديوانه

<u>أشهر التضادات الحكيمة لدى أبى فراس :</u>

بقراءة ديوان أبي فراس الحمداني تجد التضاد سمة أسلوبية بارزة به ، وباستقراء ديوانه تم رصد عدد كبير من التضادات حتى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الديوان من تضاد واحد على الأقل إن لم نصل لأربع أو خمس تضادات أغلبها (تضاد حكيم) ! أجاد الشاعر صياغتها بعد ما سبك : (خبرته) وصاغها في قالب : (لفظي) كاشف عن حقائق الكون ، فعندما يستخدم الشاعر

التضاد يكشف عن وعيه لجوهر الصراع في الحياة مما يجعل عمله أكثر عمقا وأبلغ تأثيرا [١]

وسنقتصر من هذه التضادات على ما جاء في : (الحكمة) كخاصية جمالية وشعرية وأسلوبية في ديوانه .

وقد توزعت حكمة أشعاره في موضوعاته المتنوعة لتضمن الخلود لكثير من معانيه التي لم تستنفذها المناسبات اللحظية لكنها خطت لنفسها صفحة في كتاب الخلود الذي يُعلِّم ليبقى !

فقد جرت أشعاره (مجرى الحكمة) ومُعينها الأول في الوصول إلى هذا المرقى الصعب هو: بنية التضاد التي شهر له منها قوله :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهي عليك ولا أمر
نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ... ولكن مثلي لا يذاع له سرّ
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى ... وأذللت دمعًا من خلائقه الكبر
وفيت وفي بعض الوفاء مذلة ... لآنسة في الحي شيمتها الغدر
تُسائلني من أنت وهي عليمةُ ... وهل بفتى مثلي على حاله نكر
فقلتُ لها : لو شئت لم تتعنّتي ... ولم تسألي عني وعندك بي خبر
فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا ... فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر[٢]

---

١ – عودة ، ميس خليل محمد . جماليات التضاد في شعر الخنساء – مجلة الممارسات اللغوية – مج ١٠ ع٢ – ص ١٥٣– جامعة مولود معمري تيزي وزو – مخبر الممارسات اللغوية – ديسمبر ٢٠١٩

٢ – الحمداني ، أبوفراس . ديوان أبى فراس الحمداني– ص : ٩١–٩٢ – الناشر مؤسسة هنداوي – نسخة ٢٠٢٠

والتضاد هنا متصل لتشكيل (صورة / حالة / نموذج) لكثير من حالات الحب في وصفين (وصفه) و(وصفها) بين : (جحودها وغدرها وتنكرها له وادعاء الجهل به) وبين (شوقه ودموعه ووفائه ...) من خلال التضاد بين الإشارات الضدية المنيرة بين :

(نهي – أمر / لا يذاع – سر / الوفاء – الغدر / عليمة – نكر)

وتنكر الأنثى هنا وضع اجتماعي بناه الخوف لديها والموروث الثقافي المشوه عن حب الرجل .

فالتضاد هنا مصابيح كاشفة ومسارات ضوئية مزينة لا يقتصر نفعها على الزينة بل موظفة لخدمة المعنى الذي يتأرجح بين شطرين ، مثيرا الاندهاش بالمفاجآت : حيث (صعوبتها) في البيت الأول المثيرة للتساؤل : أما للهوى نهي ولا أمر ؟

فأوقعها في فجوة / هوة بعيدة غريبة مستغربة لموقفها حيث التنافر بين (عصي الدمع – الهوى) !

ويكسر حدة موقفها المنكر بموقفه المضاد (المعترف) : نعم أنا مشتاق ! بل أكثر من ذلك : (وعندي لوعة) مستطردا في مقارنة موقفيهما ، شارحا (في ثلاثة أبيات) وليس بيتا واحدا تبريح الهوى به ، يليه حوار مسرحي (تناوب بين طرفين) أضاء جماله بمنارات ضدية : (عليمة – تنكر)، (أنت لا الدهر) !

حيث السؤال الاستفزازي عمن لا يُنكَر ! (وهل بفتى مثلي على حاله نكر)!

ويمتد تنكرها له – كما تنكرت لدموعها أول الأبيات – إلى آخر المقطع متملصة من مسؤوليتها عما أصابه!

ومما شهر من تضادات أبي فراس كذلك قوله :

أمـــا لجميـــل عنـــدكنّ ثـــواب ولا لمســـــيء عندگـــــن متـــــاب

ولكنني والحمد لله حازم أعز إذا ذلت لهن رقاب

فليس فراق ما استطعت فإن يكن فراق على حال فليس إياب [١]

حيث يتوزع المعنى في البيت الأول في قسمة منطقية ضدية بين : (جميل – مسيء) وكلاهما مستنكر ! أو مرفوض منهن !

ويأتي المخرج في البيت الثاني على ضدية أخرى بين :(عز – ذل) ، فالموقف من هاته المنكرات لكل شيء : من الطرف الضد إلى نقيضه (جميل / مسيء) إما موقف حبيب (ذليل قريب) أو (عزيز هاجر) ، فيختار الشاعر طرف (الأعز) وهو طرف أقلية حتى لو كان طرف الجمع (رقاب) في غير طرفه !

ولكن الفراق عنده ليس رعونة ، لكن بعد بذل الجهد : (ما استطعت) لكن إن كان اختيار بين طرفي الضدية : (فراق – إياب) لا مفر ، فليكن (فراق) : (عزيز) لا إياب بعده ، فيأخذ من الثنائيتين الضديتين (أعز – ذل) و(فراق – إياب) أحزمهما .

ومن الذي لا يذكر من علاماته الشعرية المتضادة كذلك قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب[٢]

حيث شبكة الثنائيات الضدية :

(تحلو – مريرة/ ترضى – غضاب / عامر – خراب)

التي تنسج عليها معاني الأبيات لتنتج فكرة : (رضاك مقابل/ ضد رضى الجميع !) ، وقد صيغت الأبيات في عمق نفسي يصل بجذوره إلى تحويل هذا

١- ديوانه ص ٤٠ ١

٢- ديوانه ص ٤٢ ٢

المعنى (الذي هو غالبا مجازي) غير المقبول (على الحقيقة) إلى معنى (حكيم) !

يصله إلى مصاف المقبول بل الحكيم لأنه مطلب نفسي شعري !

ونلاحظ دقته في توظيف المعاني النحوية لـ (الفعل – المحدود الزمن) ولـ (الاسم – المستمر) ليضع في طرف ممدوحه المعنى الضدي في هيئة الفعل : (تحلو – ترضى) ، وكأن مرة واحدة من رضاه تعادل غضب الأنام على امتداد الزمن !

ونجد أيضا مما شهر له في الغزل قوله :

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويسعد هاجرُ[1]

وهو معنى يرتجيه كل عاشق (مهجور – هاجر) وكأنه حكمة مأمولة في اكتمال فكرة لا تسمح بالمناقشة من منطقها الخاص !

وفي اعتزاز الشاعر بصموده ، في كياسة وفهم يقول أبو فراس مكنيا عن حكمته في التعامل مع الأحداث :

وقور وأهوال الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهاب

وألحظ أحوال الزمان بمقلة بها الصدق صدق والكذاب كذاب[2]

حيث الثنائيات الضدية الضمنية في: (وقور – أهوال الزمان تنوشني) (جيئة – ذهاب) (الصدق – الكذاب) وهذا ثبات حكيم لموقفه ، مما خلخل هذا الثبات لدى غيره !

فهو يترصد بـ(مقلة) ذكية حكيمة قارئة غير هائبة .

١– ديوانه : ص١١٠

٢– ديوانه : ص ٢٤١

وتستمر الحكمة في موقفه من زمانه وأهل زمانه في قوله :

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئابا على أجسادهن ثياب
تغابيت عن قومي فظنوا غباوتي بمفرق أغبانا حصى وتراب
ولو عرفوني حق معرفتي بهم إذن علموا أني شهدت وغابوا
وما كل فعّال يجازى بفعله ولا كلُ قوال لدي يجاب[1]

حيث التضاد بين :

(الناس – ذئاب / تغابيت – غباوتي / شهدت – غابوا / فعال – قوال)

وفي كل ثنائية منها حكمة وعقل وبصيرة لا تسنح لأي أحد ، وهي حكمة الرؤية والموقف وليس حكمة اللفظ فحسب ! ليست الحكمة بل الحكيم !

ولا يخفى ما فيها جميعا من اتكاء أساسي على ميزة التضاد التي صدحت فأسمعت بالحكمة حتى أنه إذا ما أزيحت التضادات عن موضعها خلت من كل مزية !

فالتضاد المكون السحري الخفي والظاهر في فنية انتقائه وجودة سبك صناعته، جاء موظفا مخلصا لفنية شعره .

وبعد هذه الوقفة مع مشهور أبياته المحققة للتضاد الحكيم ، سنرصد تضادات أبي فراس عبر ديوانه حيث نصنفها موضوعيا بهذا الترتيب لجمع شتاتها ومنهجة نقدها فنيا وموضوعيا وذلك في الموضوعات الأربعة التالية :

١– الحب والغزل
٢– الصداقة
٣– الفخر والمدح
٤– تجارب الحياة

١– ديوانه : ص ٤٠

أولا : التضاد الحكيم في موضوع الحب والغزل :-

والتضاد هنا حالة نفسية استثنائية فكل التضادات واختلاف الحالات محتملة الحدوث في هذا الموضوع بالذات :(الحب) ، حيث المعاني تأخذ غير معانيها، وحيث تقلب المشاعر والأهواء مما يكون داعيا كبيرا لحالات التناقض والتلبس بغير الأحوال المألوفة ، وهذا الواقع النفسي ينعكس في طابع لغوي به : (المخالفة / أو التضاد) ، وندرس من تضاداته مما ورد في الغزل قوله:

بأبي شادن بديع الجمال أعجمي الهوى فصيح الدلال[1]

وقد ورد التضاد بين :

(أعجمي / فصيح)

محركا للذهن بمفاجأته ليفهم كيف يكون (الهوى) : (أعجمي) ، لتفتح باب القراءة التأويلية ، فربما يقصد أنه :(غير مألوف ولا معهود فهو غريب متفرد) أو قد يعني أنه :(غامض غير مفهوم السبب) فهو غامض غير مفهوم ، بخلاف ما يتبدى منه في (الدلال) : (فصيح) أي واضح معلن لكل من يراه ،

وتأتي هذه الضدية تفسيرا لـ (بديع الجمال) فهو بديع / مبتكر لا يشبهه غيره ، والحكمة أتت للبيت من أنها وضعت بصمة ووقفة لا تحتمل النقض ! مسبوكة بإحكام – من منطقها الخاص الذي لا يقبل الرد كذلك .

ونقف أيضا على قوله:

أيا سافرا ورداء الخجل مقيم بوجنته لم يزل[2]

١ ديوانه : ص ١٣٢

٢ ديوانه : ص ٦٨

صورة ضدية لطيفة من الثنائية :

(سافرا / رداء الخجل) ، حيث التجسيد في (رداء الخجل) ، وثمة حماية من الشاعر للموصوفة التي هي : (سافرة) ولكنه أبى لها إلا الجمال فوشحها برداء جميل هو : (رداء الخجل) يؤكد حضوره مروءة الشاعر مكررا التأكيد بالضد : (مقيم) وثنائيته بالضد المنفي في : (لم يزل) !

ويقول كذلك في الغزل ضمن هذا التضاد الحكيم :

أقناعة من بعد طول جفاء بدنو طيف من حبيب ناء

...

رشأ إذا لحظ العفيف بنظرة كانت له سببا إلى الفحشاء

...

جازيتني بعدا بقربك في الهوى ومنحتني غدرا بحسن وفاء [١]

هذا المقطع غير المتتالي الأبيات [٢] يشكل : شبكة ضدية محولة من (جهة) إلى (عكسها) من خلال الثنائيات المشهورة في الحب :

(جفاء – حبيب / دنو – ناء)

(العفيف – الفحشاء)

(بعدا – بقربك / غدرا – وفاء)

حيث خلخلة المشاعر وتضارب العبارات والمفاجآت المرهقة للشعور المحب بأبيات روعة في الصياغة المحكمة نسجت بدقة عابرة للقصيدة – إذ الأبيات ليست متتالية – يبدأ في البيت الأول باستفهام استنكاري ، يتلوه تضاد قوي محول يدفع : (العفيف) من موقعه إلى معكوس وضعه : (الفحشاء) ويثلث

١– ديوانه : ص ١١٦

٢– فصل بينها نقاط

بالموقف المخالف للتوقع ليكون الجزاء المفارق : (بعدا بقربك / غدرا بحسن وفاء) !

وتستمر الضدية مع مشاعر الحب التي تقلب المواقف من الضد لضده في قول الشاعر :

مسيء محسن طورا وطورا فما أدري عدوي أم حبيبي

يقلب مقلة ويدير طرفا به عُرف البريء من المريب

وبعض الظالمين وإن تناهى شهي الظلم مغفور الذنوب [1]

والشاعر فيها متردد بين ضدين هما :

(عدوي أم حبيبي) .. مترتبين على ضدية أخرى :

مسيء – محسن

وعلى كل فظلمه وذنوبه على غير مفهوم الظلم والذنوب : فظلمه : شهي ، وذنوبه (مغفورة) ! والموقف هنا انتقل من : (الإدانة) إلى : (الحياد) القريب من (القبول الحسن) الذي تكرر في قوله :

أساء فأدته الإساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب

يعدّ علي الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب

فيا أيها الجاني ونسأله الرضى ويا أيها الخاطي ونحن نتوب [2]

فمرآة الحب دوما كاذبة الكذب المقبول المرغوب ، وهكذا تكون مرآة الحب مرآة التناقضات !

، وفي هذا المعنى (معنى القبول والطاعة) ورد عدد من الأبيات مستعينة بجمالية التضاد الحكيم في مثل قوله :

١- ديوانه : ص ٦٧

٢- ديوانه : ص١٢٨

وإن عصـــــاني لســـــاني فالقلـــــب طـــــوع يديـــــه

يـــا ظالمًـــا لســـتُ أدري أدعـــو لـــه أم عليـــه

أنّـــا إلـــى اللـــه ممـــا قاســـيتُ منـــه إليـــه (١)

حيث التضاد بين :

(عصاني – طوع / أدعو له – عليه / إلى الله – إليه) . وكلها تضادات جاءتها الحكمة من جهة عدم القدرة على مناقضتها أو ردها من منطقها الخاص!

وجاءت المتضادات في الحب كذلك في قوله:

وإنـــي لمقـــدام وعنـــدك هائـــب وفـــي الحـــي ســـحبان وعنـــدك باقـــل

...

وحجتهـا العليـا علـى كل حالـة فباطلهـا حـق وحقـي باطـل (٢)

وليس التضاد هنا لفظي لكنه صورة وحالة نفسية كاملة تتناوب بين :

(مقدام – هائب / سحبان – باقل / باطل – حق) والضدية الأخيرة لم تكتف بضد بل معكوسه كذلك (باطلها حق وحقي باطل) !

ومن تضادات الحب : عدم التصريح بالمعايب والشكر بين الناس حتى ليتلبس أبو فراس الفارس الشجاع بثوب الشاعر المحب (الجبان) في قوله :

وإذا وجدت مـع الصديق شكوته سـرًا إليـه وفـي المحـافل أشكـرُ

مـا بـال شـعري لا يجـيء جوابـه سحبـان عنـدك بـاقل لا أعـذر(٣)

والتضاد في وضوح أدائه لوظيفته هنا لا يحتاج لبيان إلا أن يقرأ وتستشعر تنافراته المسوغة !

١- ديوانه : ص ٦٧

٢- ديوانه : ص ٢٩

٣- ديوانه : ص ٥٤ ٣

ومن توظيف بنية التضاد في الحب ما جاء رابطا بين : (الحب والشعر) في ضدية :

(نظم – نثر) الحاضرة في قوله :

أشيعه والدمع من شدّة الأسى على خده نظم وفي نحره نثر[١]

والضدية هنا أفادت الشمول والإحاطة بكل الصور (شعر / نثر) .. وكلها جميل !

وفي دموع الحب أيضا يقول :

أنكرت حبك والدموع مقرة وطويت وجدك والهوى في نشره [٢]

إذ التضاد بين :

(أنكرت – مقرة / طويت – نشره) ، ونجد الملحظ النحوي في استخدام (الاسم والفعل) كذلك ، عبر بالفعل (حيث محدودية الزمن – الماضي هنا) في معنى :(الإنكار والطوي) وكأنها مسائل عارضة ، وعبر بالاسم – وفي معناه استمرارية الصفة – في معنى : (الإقرار والنشر) ! وكأن الإنكار والإخفاء من العوارض المؤقتة وغالب أمره لا يملكه فتفضحه الدموع المستمرة خارج الزمن والهوى الفاضح !

ومما ورد لدى أبي فراس من معاني التضاد في الحب من المعاني العامية– السطحية قوله :

وذقنا مرارة كأس الصدود فأين حلاوة كأس الوصال[٣]

١– ديوانه : ص ٦٤

٢– ديوانه : ص ٦٥

٣– ديوانه : ص ١٣٠

وإن كانت عامية اللغة قد تتفاوت عبر الأزمان ، لكني بحكم هذا العصر أراها من الشائع غير الأدبي ولا الرفيع !

وزادت العامية في قوله :

إذا مـــا بـــرد الحـــب فمـــا تســـخنه النـــار[١]

وجاءت عاميته من المجال الدلالي غير المناسب ، بين : مجال الحب ومجال المفردات: (برد – تسخنه) الذي هو أقرب لمجال الطبخ دلاليا .

ثانيا : التضاد الحكيم في موضوع الصداقة والأخوة :

وللصداقة والأخوة معه باع كبير في سيرته ومسيرته المعروفة مع سيف الدولة حيث تخليه عنه وهو ليس قريبه وابن عمه فحسب بل أيضا صديقه وزوج أخته ، وبالتالي كانت خبرته سيئة عن الأصدقاء ، وتأتي تقنية التضاد ليكشف بها الشاعر مفارقات هذه العلاقات (المأمولة الفكرة والمحبِطة الواقع والتجربة) إذ يقول حيث يرد ذكر (ابن عمه وسبب أو مفتاح عنائه) منوها إليه في هذه الأبيات بقوله:

سيبلغ عني ابن عمي رسالة يبث بها بعض الذي أنا كاتمه

...

كذلك حظي من زماني وأهله يصارمني الخل الذي لا أصارمه [٢]

وقد عبر عن ثقل فجيعته بالتضاد بين :

(يبث – كاتمه) موظفا صيغة (الفعل والاسم) كلا فيما يناسبه ، وحيث يوجد تضاد بين الإيجاب والسلب في : (يصارمني – لا أصارمه) . ومضيفا الصفة الأولى من الثنائيتين الضديتين إلى ابن عمه والصفة الثانية منهما إلى

١– ديوانه : ص٦٥

٢– ديوانه : ص١١٤

نفسه في توازن إيقاعي حزين وتقطيع بطيء يساعد في تحقيق معنى البيتين بتضاداتهما .

ويقول أيضا في الصداقة والقرابة :

وفي كل دار لي صديق أوده إذا ما تفرقنا حفظتُ وضيعا

...

إذا خفت من أخوالي الروم خطة تخوفت من أعمامي العُرب أربعا [1]

وهنا يكشف عن مرارة ما يعنيه من : (الصداقة والقرابة) معا ؛ فلا الود محفوظ من الأصدقاء ولا الأمن متحقق مع الأقرباء ! وليس أبلغ تصويرا لهذه الحالة من التضاد المفاجئ المفجع في الجمع بين ما لا يتمناه المرء من الخوف (مفردا وجمعا) !

وقوله :

وما أخوك الذي يدنو به نسب لكن أخوك الذي تصفو ضمائره

وإني واصل من أنت واصله وإنني هاجر من أنت هاجره

ولست واجد شيء أنت عادمه ولست غائب شيء أنت حاضره [2]

حيث خالف التوقع في بيته الأول بالنفي والاستدراك في :

(وما أخوك – لكن أخوك)

وحافظ الشاعر على ما تبقى من معنى الصداقة في نفسه حين قرن الضدين :

(الوجود – والغياب) في البيت الأخير بوجود أو غياب صديقه !والبيت الأخير ليس به تضاد فحسب بل مقابلة بين الشطرين !

١- ديوانه : ص٤٥

٢- ديوانه : ص٥٤

كما يقول مستنكرا تغير معهود الناس من الوفاء للأصدقاء إلى الغدر :

أكـل خليـل أنكـد غيـر منصـف وكـل زمـان بالكـرام بخيـل

نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوة أجـاب إليهـا عالـم وجهـول (١)

إذ لم يعد الغدر مقتصرا على البعض بل عاد شائعا حتى أنه شمل ما بين طرفي الضدية : (عالم وجهول) فكان الغدر سمت الجميع .

ويقول مشتكيا ثقته بالأصدقاء وندمه على انتقائه :

أعيـا علـي أخ وثقـت بـوده وأمنـت فـي الحـالات عقبـى غـدْره

وخبـرتُ هـذا الـدهر خبـرة ناقـد حتـى أنسـت بخيـره وبشـره

لا أشـتري بعـد التجـرب صـاحبا إلا وددتُ بـأنني لـم أشـره

ويجـيء طـورا ضـره فـي نفعـه جهـلًا وطـورا نفعـه فـي ضـره (٢)

حيث الثنائيات الضدية التي تتناوب الأخ / الصاحب :

(أمنت – غدره / خيره – شره/ أشتري – لم أشره / ضره – نفعه)

فما يكون من خبرة دهره إلا الرفض لما يكدره والخروج عن هؤلاء والتمرد عليهم واستخراج حكمة الحياة من العلاقات التي لا تروق :

وأخ أطعـتُ فمـا رأى لـي طـاعتي حتـى خرجـت بـأمره عـن أمـره

وتركـت حلـو العـيش لـم أحفـل بـه لمـا رأيـت أعـزه فـي مـره

والمـرء لـيس بغـانم فـي أرضـه كالصـقر لـيس بصـائد فـي وكـره

كل ذلك المعنى المتصارع لا يقوى على أدائه إلا التضاد

وهنا مفارقة حيث (التضاد بين : أطعت – ما رأى لي طاعتي / حلوه – مره) ليختم الأبيات بحكمة بالمقاربة بينه وبين الصقر حيث لا غنم لأي منهما !

١– ديوانه : ص٣٧

٢– ديوانه : ص ٦٥ ٢

ويعتدل أبو فراس في رفضه للأصدقاء بعامة من خلال الاعتراف بمقارنة بين صديقين أو نوعين من الأصدقاء في قوله :

أين الخليل الذي يرضيك باطنه من الخليل الذي يرضيك ظاهره[١]

والتضاد هنا حكيم ينبه العقول أن تغتر أو تخلط بين (الظاهر والباطن) ، فالمقارنة بها اعتراف بوجود الطيب من الأصدقاء كقسيم لمن ليس كذلك .

وقريب من هذا المعنى قوله :

أراني وقومي فرقتنا مذاهب وإن جمعتنا في الأصول المناسب

فأقصاهم أقصاهم عن مساءتي وأقربهم مما كرهتُ الأقارب[٢]

ونشأ جمال وتوازن هذا البيت على طرفي الضدية بين : (فرقتنا – جمعتنا / أقصاهم – أقربهم) ، فجعل قومه فريقين معترفا بوجود الطيب منهم .

وتتقدم مقاومة أبى فراس لينتقل من مرحلة الرفض ومرحلة الاعتدال إلى هذه المرحلة :

واحلم وإن سفه الجليس فقل له حسن المقال إذا أتاك بهجره

فأحب إخواني إلي أبشهم بصديقه في سره أو جهره[٣]

فيجعله مبادر بـ (الحلم) ضد الـ(سفه)

ويقول كذلك متخذا طرف الإحسان في الرد على الهجر والغدر :

وكنت متى وافيت خلا منحته بهجرانه وصلًا ومن غدره وفا [٤]

١- ديوانه : ص ٥٣

٢- ديوانه : ص١٤٩

٣- ديوانه : ص٦٥

٤- ديوانه : ص١١٤

وزاد في إحسان الرد حتى خالف معهوده فقال:

فجميل العدو غير جميل وقبيح الصديق غير قبيح[١]

ليكون (قبيح الصديق): غير قبيح !

ويصل حد الاستنكار على من يجحد أقاربه وأصدقاءه في قوله :

أنبذل الود لأعدائنا وهو عن الإخوة ممنوع

ويوصل الأبعد من غيرنا والنسب الأقرب مقطوع[٢]

حيث المفارقة بين (نبذل – ممنوع / يوصل – مقطوع) في توازن إيقاعي يشي بجو الحكمة .

ثالثا :الحكمة في موضوعي : (الفخر والمدح) :-

نجد بداية – بالمقارنة بين الفخر والمدح أن الأول غلب الثاني كثيرا ، كيف لا وأبو فراس يعرف قدر نفسه

قال يفخر بفروسيته أبياتا منها قوله :

فقل للعلج لو لم أُسم نفسي لسماني السنان لهم وكنى[٣]

حيث التضاد بين السلب والإيجاب في : (لم أسم – لسماني) والتضاد كذلك بين : (سماني – كنى) وما حملته كلمة (سماني) من كثافة دلالية – والكثافة صفة الحكمة – باشتراكها في ثنائيتين ضديتين .. موصلا المعنى ومبالغا في تحقيقه .

١- ديوانه : ص١٢٧

٢- ديوانه : ص١٤٧

٣- ديوانه : ص٥٧

وقال :

عزيـز حيـث حـط السـير رحلـى تداريـنـــــي الأنـــــام ولا أُداري[١]

مبينا عن قوة حضوره ووضوحه في : (لا أداري) ، والضدية هنا لم تقتصر على الفعل بل تجاوزته لتضع الشاعر (الفاعل) في تضاد مع (الأنام) وفي هذا تفخيم وفخر العزيز .

وقال :

وكـانوا الكثـر يومئـذ ولكـن كثـــــرنا إذ تعـــاركنا وقلـــوا [٢]

حيث ضدية التحول : (كانوا الكثر – كثرنا – قلوا) وقد تكثفت الضدية بوجود مفردة توسطت / اشتركت بين ثنائيتين : (كانوا الكثر – كثرنا / كثرنا – قلوا) ، والحكمة أتت من موقف التحول المفاجئ مع الكثافة في دلالة القوة .. والحكم بينهما (التجربة – عنصر مهم للحكمة – في : إذ تعاركنا) .

وقال:

إذا عـاينتني الـروم قـد ذلّ صـيدها كأنـــهم أسـرى لـدي بـلا كبـل [٣]

والتضاد هنا جاء من المفارقة في الصورة : (أسرى بلا كبل) ، وجمال المفارقة من مجرد المعاينة المقربة بأداة التشبيه (كأن) !

وقال يفخر بذاته في ضدية مستملحة :

لا تبيعنـــي بـــرخص إن مـــــن مثلـــــي يغـالـــــى

وقال يفخر بعلو نسبه :

فإن يمض أشياخي فلم يمض مجدها ولا دثـرت تلـك العلـى والمآثـر

١- ديوانه : ص٧٣

٢- ديوانه : ص٥٧

٣- ديوانه : ص٤٤

نشـيد كمـا شـادوا ونبنـي كمـا بنـوا لنا شرف مـاض وآخـر غابر[١]

حيث كثافة التضاد الذي ورد إيجاب وسلب مرة (يمض – لم يمض) وإيهام تضاد بين (ماض – غابر) إذ كلاهما قديم .

وقريب منه قوله كذلك :

ومـا كـان لـولاه لينفـع أول إذا لـم يزيـن أول المـجـد آخـر

لعمرك مـا الأبصـار تنفـع أهلهـا إذا لـم يكـن للمبـصرين بصـائـر

...

لنـا أول فـي المكرمـات وآخـر وباطـن مجـد تغلبـي وظاهـر[٢]

حيث بدأ المقطع بضدية : (أول – آخر) وختمه بـ (أول – آخر) وكأنه يعترف بآلية التضاد التي تأخذ المعنى من أقصاه ولا بديل عنها !

ويقارن نفسه وعلو مكانته بغيره لتكن النتيجة قوله :

وقد علمت ربيعة بل نزار بأنـا الرأس والنـاس الذنابي[٣]

والفرق بينهما شاسع !

ويستخدم الشاعر عصاته السحرية (الضدية) كذلك في قوله هنا :

لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنّـا بهـا أسـدا وكنت بها كلبا[٤]

حيث بعد المسافة بين (أسدا – كلبا) ولا تأتي هذه المسافة إلا بآلة (التضاد) !

١– ديوانه : ص١٦

٢– ديوانه : ص١٢

٣– ديوانه : ص٣٠

٤– ديوانه : ص١٠٣

وقال يفتخر بحاله ويشكو لله صعوبة ظروفه مكررا الضدية السابقة في قوله :

إلـى اللـه أشكـو أننـا بمنـازل تحكَّـمُ فـي آسادهـن كـلاب

...

وأسطـو وحبـي ثابت فـي قلـوبهم وأحلـم عـن جهالـهـم وأهـاب[1]

حيث افتخر بنبل خلقه حتى مع أعدائه في ضدية صعبة تنم عن خلق رفيع (أحلم عن جهالهم) .

وقال في المدح رافعا ممدوحه منزلة عالية حين يقول :

شريتك من دهري بذي الناس كلهم فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخس[2]

وكيف تتحقق هذه المنزلة لولا وضعه لممدوحه في كف ميزان يقابله فيها بـ (ذي الناس كلهم) لتكون النتيجة المنفية مستخدمة لتقنية التضاد بين (مبخوس – باخس) .

وقال يمدح قوة سيف الدين ورباطة جأشه في الحزن :

يبكي الرجال وسيف الدين مبتسم حتى عن ابنك تعطي الصبر يا جبل

لم يجهل القوم منه فضل ما عرفوا لكن عرفتُ من التسليم ما جهلوا [3]

وأنى تتحقق له هذه المنزلة دون أن يستخدم عصا التضاد السحرية في مثل : (أسرى – بلا كبل / لم أسم – لسماني / كثرنا – قلوا / تداريني – ولا أداري / برخص – يغالي)

وحيث المفارقة بين [الظاهر] في : (يبكي – مبتسم) ، و [الباطن] في: (لم يجهل – ما عرفوا / عرفت – ما جهلوا) ! ميزان لا يقيمه إلا التضاد !

١- ديوانه : ص٤١

٢- ديوانه : ص٤٣

٣- ديوانه : ص١٣١

وقال يمدح :

لـه بطش قـاس تحتـه قلـب راحـم ومنــع بخــيل تحتــه ذيـل مفضـل[١]

فجمع لممدوحه المكارم في كل حال وضده ، وكأنه يقول : ليست المكارم على كل حال .. لكنها حيث تحسن !

رابعا : الحكمة من تجارب الحياة

وقد تجلت في عدة مجالات نصنفها كالتالي :

١. الحكمة في الأخلاق والدين :-

يقول محددا المسافة بين الإنسان وربه في قوله :

يامعجبـــــا بنجومـــــه لا الـــنحس منـــك ولا الســـعادة

الله يـــنقص مـــا يشـــا وفـــــي يـــــد الله الزيـــــادة

دع مـــا تريـــد ومـــا أريـــد فـــــــــــــــإن لله الإرادة[٢]

وهذا المعنى لا يؤدى بغير العلاقة الطرفية بين (ضدين) تبرهن المسافة بينهما على الإقناع بما يرمي إليه الشاعر من خلال الثنائيات : (النحس – السعادة / ينقص – الزيادة / تريد – أريد) ، ومن لغير قوانين الكروموسومات الجينية التضادية أن يحدد المصائر !

ونجد عنده كذلك التسليم بالقوة لله عز وجل :

ومـن لـم يـوق الله فهـو ممـزق ومــن لــم يعــز الله فهــو ذليـل [٣]

١- ديوانه : ص١٤٥

٢- ديوانه : ص١٢٥

٣- ديوانه : ص٣٨

فـي ضـدية بـين طـرفين : (يـوق – ممـزق / يعـز – ذليـل) ينتهيـان فـي حكمهمـا إلـى الله ! ولا يغيـب توظيـف (الاسـمية والفعليـة) السـابق تفصـيله عـن مقصود الشاعر هنا كذلك .

وقريب منه قوله أيضا :

إذا اللـه لـم يحـرزك ممـا تخافـه فـلا الـدرع منـاع ولا السـيف قاضـب [١]

حيث النتيجة في كل شطر واحدة ومآلها إلى الله !

ويترتب على هذه العلاقات المتأرجحة الطرفية والمسلمة النهاية التسليم لله في كل شيء وضده في قوله :

أحمـــد الله علـــى مـــا ســـرني منـــه وســـاء [٢]

وكيف يخلو تسليم من الشمول الذي يبدأ من طرف وصولا إلى معاكسه وضده (سرني – ساء) !

وقال عن تحول الزمن عن الإساءة إلى الإحسان :

فتعتـذر الأيـام مـن طـول ذنبهـا إلـي ويأتـي الدهـر والدهـر تائـب [٣]

وقال:

فـهـم يطفئـون المجـد واللـه واقد وهـم ينقصـون الفضـل والله واهـب [٤]

حيث تجلي قدرة وعظمة الخالق بالإرادة المطلقة المحولة من الضد للضد : يطفئون – واقد / ينقصون / واهب .. على ما في توظيف صيغتي الاسم والفعل فيما يناسبهما نظما .

١- ديوانه : ص٩٥

٢- ديوانه : ص١٢٤

٣- ديوانه : ص٩٦

٤- ديوانه : ص٩٤

٢. **التضاد الحكيم في الفقر والغنى وما يتصل بهما من الكرم والبخل :-**

حيث يقول في حكمة تداول المال بين الناس وتغير الأحوال جاءت بعد الاستفهام الاستنكاري في قوله :

هـــل تـــرى النعمـــة دامـــت لصـــــغير أو كبيـــــر
أو تـــــرى أمـــــرين جـــــاءا أولا مثـــــــل أخيـــــــر
ففقيـــــــر مـــــن غنـــــيً وغنـــــي مـــــن فقيـــــر(١)

حيث الثنائيات : صغير – كبير / أولا – أخير / فقير – غني ، وقد استخدم التضاد ومعكوسه في البيت الأخير وكأنه لم يكتف بالتضاد كأساس حياة بل جعل الحكمة مؤكدة في معكوسه !

ويقول في ثباته على تقلب أحوال (الغنى والفقر) :

ولا راح يطغيني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر(٢)

في مقابلة بين الشطرين : (راح – بات / يطغيني – يثنيني / الغنى – الفقر)

ويستنكر ظاهرة نأي المال عن الكرام وتحوله لغيرهم في قوله :

وما للمال يزوي عن ذويه ويصبح في الرعاديد الشحاح(٣)

وهو رفض لما آلت إليه الحياة من وضع الأمور في غير محلها !

٣. **التضاد الحكيم في موضوع العمر والشباب والشيب**

على أن أبا فراس مات مقتولا وهو شاب لم يبلغ الكبر ، يقول رافضا الشيب والشباب على تتابعها أو تجاورها السريع قائلا :

١- ديوانه : ص١٢٦

٢- ديوانه : ص٩٣

٣- ديوانه : ص٢٤

أيـا شـيبي ظلمـت ويـا شـبابي لقـد جـــاورتُ منـك بشـر جـــاري[١]

وهو لا يخاف الشيب بل يرحب به ترحيبه بالعقل في قوله :

رأيـــت الشيـــب لاح فقلـــتُ أهـــلاً وودعـــت الغـــوايـــة والشبابـــا [٢]

ويراه متجاوزا عليه على غير سببه في قوله:

ومـــا إن شـبتُ مـن كبـر ولكـن رأيـــت مـن الأحبـــة مـــا أشـابـــا [٣]

ويقول مفتخرا بذاته في كل أعماره : (طفلا وكهلا) :

فلـــئن خلصـــت فـــإنني شـــــرف العـــــدا طفـــــلًا وكهـــــلا[٤]

وهو يذم الحياة (طالت أم قصرت) في قوله :

فمؤجـل لقـي الـردى فـي أهلـه ومعـــــجل يلـــقى الأذى فـــي نـــفسه[٥]

فهي معادلة متوازنة لكل جهة خسائرها ، (مؤجل – معجل / أهله – نفسه)

٤. **ومن تجارب الحياة بعامة** ما جاء من قوله :

وقد يكبـر الخطـب اليسـير ويجتنـي أكابـر قـوم مـا جنـاه الأصاغـرُ [٦]

وهذا معنى كاد أن يصير مثلا سائرا ، وما جاءته المزية إلا من قدرته على جمع التضادات : يكبر – اليسير / أكابر – الأصاغر ، وحكمته مستفادة من تجارب الحياة المعاينة .

١- ديوانه : ص٧٢

٢- ديوانه : ص٣٠

٣- ديوانه : ص٣٠

٤- ديوانه : ص٩١

٥- ديوانه : ص١٢٦

٦- ديوانه : ص١٩

وقال في حكمة تغيرات الزمن :

ولكنها الأيام تجري كما جرت فيسفل أعلاها ويعلو الأسافل[١]

وفيه مقابلة معكوسة : (يسفل أعلاها / يعلو الأسافل) .

وقال في تضاد طريف :

بتُ أبكيكما وإن عجيبًا أن يبيت الأسير يبكي الطليقا[٢]

وقريب منه ما قاله وقد سمع ورقاء تنوح على شجرة عالية :

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكتُ محزون وينطق سال[٣]

وبالبيت مقابلتين طرفاها بينه وبين الورقاء، الأولى : (أيضحك – وتبكي / مأسور – طليقة) ، والثانية : (يسكت – ينطق / محزون – سال) .

وقال في تقسيم حسن :

الحزن مجتمع والصبر مفترق والحب مختلف عندي ومتّفق[٤]

والبيت به تضادان : (مجتمع – مفترق / مختلف – متفق) .

وقال في حكمة ثبات خلقه وردود فعله مهما اختلفت أفعال نظيره :

فقابلني بإنصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب[٥]

وفي مفارقة كاشفة لتنافر رد الفعل عن القول نجد حكمة قوله:

فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع[٦]

١– ديوانه : ص٢٩

٢– ديوانه : ص٤٠

٣– ديوانه : ص٤٦

٤– ديوانه : ص٤٨

٥– ديوانه : ص٤٩

٦ ديوانه : ص٦٩

وهو تضاد إيجاب وسلب .

وقال في دعوة للحكمة مع الزمن وملاينته :

لـــن للزمـــان وإن صـــعب وإذا تبـــاعـــــد فاقـــــــترب[١]

وقال في حكمة الموت والجزاء :

وأن العزيـــز بهـــا والـــذليل ســـــواء إذا سلمـــا للـــبلي

...

فـإن كـان خيـرا فخيـرا تنـال وإن كـــان شـــرا فشـــرا تـــرى[٢]

وقال في مفارقة حكمة الغنى والقناعة :

إن الغنـــي هـــو الغنـــي بنفســـه ولـــو انـــــه عـــــاري المناكـب حـاف

مـا كـل مـا فـوق البسـيطة كافيًـا فـإذا قنـــعتُ فكـــل شـيء كـاف[٣]

ونراه يرصد حكما يقطفها من حديقة الحياة بانتقاء خبير إذ يقول :

ولا أرضـى الفتـى مـا لـم يكمـل بـرأي الكـــهـــل إقـــدام الغـــلام

...

أمـا مـن أعجـب الأشـياء علـج يعـــرفنـــي الحـــلال مـــن الحـــرام

...

وأصعـــب خطـــة وأجـــل أمـــر مجـــالســـة اللئـــام علـــى الكـــرام[٤]

١- ديوانه : ص٧٩

٢- ديوانه : ص١٤٩

٣- ديوانه : ص٨٢

٤- ديوانه : ص١٠٠

ويكفينا في ختام حكمه الضدية قوله :

فـــي النـــاس إن فتشـــتهم مـــــن لا يـــــعزك أن تـــذلـــــه ([1])

وكأنا بأبى فراس يخبر الحياة ويثمن جواهرها ويستخرج لآلئها من أعماق مجهولة كاشفا عنها ظلام المسافات قاطعا بها المسافات مقربا لها إلى متلقيه مهديا إياها لمن يأتون بعده بأزمان فلا يعدموا عطاءه السخي ببصيرة نافذة وحكمة صائبة تقرب القوانين البعيدة للأفهام .

نتائج البحث :

بعد المرور بهذه الخبرة البحثية لهذا المبحث (جمالية التضاد الحكيم) وخصوصية حضوره (في شعر أبى فراس الحمداني) أفدت بالنتائج التالية :

١. أن التضاد لم يقف على حدود التحسين البديعي ، وإن كان محسنا معنويا ، فهو كذلك ملمح فكري وملحظ تأملي وكاشف خبراتي عالي الحساسية .. وموصل للفكرة بأقصر طريق وموجزا لمسافات كبيرة من الانتقال المعرفي والتحول الفكري ، فهو حقيق بمزيد اهتمام ، هو فن قديم لا يبلى بل يتزيا بأزهى مما يُتزيا به في أي عصر يستخدمه !
٢. التضاد ليس ظاهرة أسلوبية ولا خصيصة تعبيرية شائعة عند الكثيرين .. لاحتياجها إلى فكر عميق وبعد نظر وخبرة بالحياة قد لا تتأتى إلا للندرة من الشعراء المميزين.
٣. امتاز أبو فراس الحمداني بكثافة توظيف هذا الفن المتجدد عبر الأزمان .. بما يكتب لشعره البقاء ، فقد استخدم معززا قويا للخلود لا يمله المتلقي على مر الأزمان .

---

[1] ديوانه : ص ١٢٥

٤. تحقق معنى التضاد لأرقى منزلة وهي الكشف عن الحكمة والقيمة التي تدوم ! وهذا عرضناه في عدد من مناحي التعبير وحللنا أمثلته بالوقوف عليها وكشف فنية الأداء الشعري بها .

٥. وبالتالي كان التضاد تيمة وأيقونة جمالية وتقنية شعرية لعبت دورا حيويا وأصيلا في تحقيق جمالية وفنية النص والكشف عن مقدرة الشاعر وعمق بصيرته الحياتية وبعد بصره اللغوي وعمق شاعريته .

قائمة المراجع

١- أسيكار ، إبراهيم . سخرية التضاد والمفارقة المجازية في كافوريات المتنبي – مجلة علامات – العدد ٤٠- ٢٠١٣

٢- أمين ، بكري شيخ . البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع) – توزيع دار العلم للملايين – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٩٨٧

٣- تركي ، د.أمحمد – فنية التضاد في الخطاب الشعري الجزائري الأمير عبد القادر الجزائري أنموذجا – مجلة إحالات – المجلد ع١- المركز الجامعي مغنية – معهد الآداب واللغات- ٢٠١٨

٤- الجرجاني ، عبد القاهر . أسرار البلاغة – ت/ محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة

٥- الحمداني ، أبوفراس . ديوان أبى فراس الحمداني – الناشر مسسة هنداوي – نسخة ٢٠٢٠

٦- الحويطات ، د. مفلح . شعرية التضاد _ شعرية التضاد مقاربة نصية في شعر أبي الطيب المتنبي – المؤتمر الدولي السادس للغة العربية

٧- الخرابشة ، د. علي قاسم – شعرية التضاد في النقد العربي التأصيل والإجراء – الآداب للدراسات اللغوية والأدبية – العدد١٥- سبتمبر ٢٠٢٢

٨- الديوب ، د. سمر . جماليات التضاد في رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى قاضي البصرة أبى موسى الأشعري – مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها – العدد الثالث محرم ١٤٣١- يناير ٢٠١٠م الصفحات ٢٥٦-٢٧٤

٩- رحيل ، د. ديانا . بنية التضاد في أعمال عز الدين المناصرة الشعرية

١٠-سعيدي ، محمد الأمين . شعرية التضاد في ديوان رجل من غبار لعاشور فني – (جامعة سعيدة) – مجلة الخطاب – جامعة مولود معمري تيزي وزو – كلية الآداب واللغات – مخبر تحليل الخطاب ١٧٤-٢٠١٤

١١-الشمري ، ثائر سمير حسن . ثيمة التضاد في الخطاب الشعري لأحمد مطر – مجلة جامعة بابل – العلوم الإنسانية – مج ١٨ ع١- ٢٠١٠
١٢-صالح ، فتحي موسى محمد . ظاهرة التضاد في اللغة العربية دراسة تطبيقية على المفضليات – جامعة أم درمان الإسلامية
١٣-عامر ، عاصم (محمد أمين) حسن . لغة التضاد في شعر أمل دنقل – جامعة اليرموك – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها – ٢٠٠٠
١٤-عريوات . يمينة فلا _ أسلوبية التضاد في شعر مفدى زكريا ديوان اللهب المقدس نموذجا _ مخبر نظرية اللغة الوظيفية – جامعة حسيبتة بن بوعلي بالشلف – جامعة الشلف – الجزائر
١٥-علي ، أبو غالي مختار . الشعر ولغة التضاد : الرؤية ، الميدان التطبيقي _ حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت مجلس النشر العلمي – الحولية ١٥- الرسالة ١٠٣ _ ١٩٩٥
١٦-عودة ، ميس خليل محمد . جماليات التضاد في شعر الخنساء – مجلة الممارسات اللغوية – جامعة مولود معمري – المجلد ١٠ العدد ٢ ديسمبر ٢٠١٩
١٧-عودة ، ميس خليل محمد . جماليات التضاد في شعر الخنساء – مجلة الممارسات اللغوية – مج ١٠ ع٢ – جامعة مولود معمري تيزي وزو – مخبر الممارسات اللغوية – ديسمبر ٢٠١٩
١٨-غرافي ، نعيمة . بلاغة التضاد في قطط تلوك الكلام لمحمد العتروس – مجلة علامات – المجلد ع٤٥- ٢٠١٦
١٩-قبش ، أحمد . مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥-١٩٨٥- دار الرشيد
٢٠-قرماز ، طاطة . أسلوبية التضاد في شعر محمود درويش

٢١–الماوردي . الأمثال والحكم – تحقيق / د. فؤاد عبد المنعم أحمد – دار الوطن للنشر – الطبعة الأولى ١٤٢٠– ١٩٩٩– الرياض – السعودية
٢٢–مجاهد ، مسعود أحمد بالاشتراك مع حافظ سيد مبشر حسين الكاظمي – الحكمة في شعر طرفة بن العبد – مجلة قسم العربي – جامعة بنجاب – لاهور – باكستان – العدد الخامس والعشرون ٢٠١٨
٢٣–محمد ، د. يسن علي رمضان _ بنية التضاد وتماسك النص دراسة في شعر ابن زيدون في آل جهور
٢٤–محمد ، سراج الدين . الحكمة في الشعر العربي – دار الراتب الجامعية – بيروت لبنان – سلاسل سوفنير – موسوعة المبدعون
٢٥–مطير ، أركان حسين – شعرية التضاد في شعر الشريف الرضي – مجلة الآداب – جامعة بغداد – ٢٠١٧– العدد١٢٣ (كانون الأول)
٢٦–ويليك، رينيه، مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، ع 110، الكويت، ١٩٨٧
٢٧–ياسين ، د. خالد فائز – فاعلية التضاد في مفارقات الفيتوري – مجلة الآداب – جامعة بغداد – المجلد ع ١٢٨–٢٠١٩
٢٨–اليوسي ، الحسن . زهر الأكم في الأمثال والحكم – حققه / د. محمد حجي& د. محمد الأخضر – الشركة الجديدة – دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى ١٤٠١–١٩٨١